الموروث المشرقي في شعر ابن وهبون دراسة وصفية

أ. نجاح الفيتوري محمد الضبع
قسم اللغة العربية شعبة الأدبيات كلية الموارد الطبيعية العجيلات جامعة الزاوية

الملخص:

بعد دراسة الموروث المشرقي في شعر ابن وهبون، وتتبع أثر المشارقة في شعره وتوصلت الباحثة إلى النتائج الآتية :

1ـ امتلك ابن وهبون ثقافة دينية وأدبية واسعة، استقاها من الدّروس التي تلقاها من شيوخ اللغة والدّين، ومن علاقاته مع كبار الحكام والشعراء من خلال المعارضات، والمجالس الأدبية التي كانت تعقد بينهم، والتي أسهمت بدورها في منح شعره سمة الفحولة

2ـ سار ابن وهبون على النهج المشرقي، فتتبع أثر شعراء المشرق، وارتوى من تراثهم ما يسد غرضه الشعري، ويشبع قريحته، ويغذي أفكاره، فلم يخل شعره من ذكر للقيم الرّوحية والأخلاقية للممدوح من حلم وعفو... ولم يخل - أيضا - من المظاهر البدوية كالتذكير بأصالة الحسب والنسب التي كان يعتز بها العربي

3ـ خضع شعر ابن وهبون لمؤثرات الحضارة الأندلسية، وظروف الحياة الجديدة في الأندلس فجاء شعره يحمل في طياته الأصالة والقداسة للقديم من حيث الالتزام بمنهج القصيدة وموسيقاها، ويرتدي ثوبا جديدا في مضمونه، وموضوعاته التي فرضتها عليه البيئة الجديدة.

4 ـ ضمن ابن وهبون أغلب شعره من الموروث الديني والأدبي والثقافي، وبعض العلوم الأخرى كعلم الفلك، كما ضمنه فلسفة دينية اكتسبها من أكبر شعراء الشرق ـ كالمتنبي وأبي العلاء المعري ـ منحت شعره مسحة دينية.

المقدمة:

الحمد لله، ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه الطيبين الأخيار... أمّا بعد:

وجد الموروث المشرقي بشتى أنواعه، ومختلف صوره في الشعر الأندلسي اهتماما لدي الدارسين والباحثين؛ لما له من تأثير في حاضر الشعوب ومستقبلهم، فتناولوه بالبحث والدراسة ؛ من أجل الحفاظ عليه والاعتزاز به، فهو يمثل هوية الأمة وأصالتها.

تعددت المصطلحات المستخدمة لفهم التراث من استدعاء واستحياء واستلهام وتوظيف، فكلها تصب في مصب واحد هي النصوص الشعرية، وغايتها واحدة هي توطيد العلاقة بين المشرق والأندلس، فحضور التراث بأشكاله، وصوره المختلفة تعد من السمات البارزة في الشعر الأندلسي لا يمكن الاستغناء عنها، وأصبح توظيف الأثر المشرقي متأصلا في الشاعر الأندلسي، له معطياته وعناصره التي تمنحه صفة الخلود والتميز، وشهد القرن الخامس الهجري أكبر مسرح أدبي تغنى عليه الشعراء والأدباء، وأظهروا فيه تمرسهم بالشعر والأدب، وصقلوا ذلك بتراثهم القديم وعبروا عن أصالتهم، واستعانوا بالمخزون الثقافي الديني والأدبي والتاريخي واللغوي لأخوتهم، ولعل عبد الجليل بن وهبون المرسي الأندلسي الذي ولد في مرسية (483هـ) هو أحد شعراء المعتمد بن عباد، والمقربين إليه، تقول الروايات إن أغلب شعره ضاع، ولم يبق منه سوى بعض القصائد والمقطعات متناثرة بين مصادر الأدب الأندلسي، فابن وهبون الأندلسي لم يكن أقل من معاصريه في التشبع بتلك الثقافات، حيث جاء أغلب شعره على النهج المشرقي.

من هنا جاء الموضـــوع (توظيف التراث المشرقي في شعر ابن وهبـــون دراسة وصفية) كما اعتمد الباحث في ذلك على بعض المصادر والمراجع منها : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بســـام الشنتريني، وقلائد العقيان في محاســـن أهل الأعيان لابن خلكان، والمعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي ...، كما اعتمد الباحث على النّهج الآتي :

1.1 أسباب اختيار البحث:

1ـ احتواء شعر ابـــن وهبون على كم من المضامين التراثية متنوعة تحتاج إلى دراســـــة وتخريـــج

2ـ الميل والرغبة في دراسة الشعر الأندلسي ؛ لما فيه من متعة وجمال، وهو من الموضوعات التي تستحق الدراسة والاهتمام.

2.1 إشكالية البحث:

وتتمثل هذه الإشكالية في الإجابة عن التساؤلات الآتيـــــة :

س1ـ ما أثر الثقافة المشرقية في شعر ابن وهبون ؟

س 2ـ ما علاقة شعر ابن وهبون بالتراث المشرقي، وما موقفه من هذا التراث ؟

3.1 أهمية البحث:

1 ـ يسهم هذا الموضوع في إثراء المكتبة الأدبية ؛ لتكون مرجعا لطلاب العلم

2ـ الحاجة إلى مثل هذه الدراسات في التراث المشرقي للتعرف عليه، ومعرفة الصلة بين المشرق والمغرب، وربط الماضي بالحاضر.
3 ـ تظهر أهميته أيضا فيما يحمله من تأصيله لهوية الأمة، والمحافظة على تراثها
4ـ يشكل هذا الموضوع أهمية ؛ لما يحمله من فكر إنساني خالد، وقيم فنية، ومبادئ إنسانية حية.

4.1 أهداف البحث:

1ـ رصد التشكيل التراثي في شعر ابن وهبون، وبيان أن هذا التشكيل يعد عملية فنية، وليس عملية زخرفة.
2ـ تسليط الضوء على جانب مهم من تجربة ابن وهبون الشعرية، وكيفية تناوله لهذا التراث بأشكاله المختلفة؛ لما يزدخر به من عناصر ومعلومات ثقافية، ولغوية، وجمالية.
3ـ فهم مضامين النص، والوصول إلى أغواره عن طريق تأصيل التراث في شعر ابن وهبون.
4ـ التفاعل مع التراث المشرقي، ومحاولة ربطه بهموم الشاعر ابن وهبون، وعصره حتى تتحقق الأصالة في النتاج الأدبي، وتعم الفائدة.

5.1 الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي تتعلق بهذا الموضوع، وتلامسه في بعض الجوانب: شعر ابن وهبون المرسي (483 هـ)، جمع وتحقيق ودراسة سحر صبحي أحمد، ماستر، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1989م، شعر ابن وهبون جمعا ودراسة، نجاح الفيتوري الضبع ماستر، كلية الآداب، جامعة الزاوية، 2010م.
تساؤلات البحث:
س1ـ كيف وظف ابن وهبون التراث المشرقي في شعره؟
س 2ـ ما الروافد التراثية في شعر ابن وهبون؟

6.1 حدود الدراسة:

1ـ الحدود البشرية وتختص هذه الدراسة بالشاعر ابن وهبون المرسي؟
2ـ الحدود الزمانية وتختص بالقرن الخامس الهجري أي الحادي عشر ميلادي.
3ـ الحدود المكانية وتختص ببلاد الأندلس.
فيما يتعلق بالبحث فقد قسمته إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.
المبحث الأول ـ التراث المشرقي في شعر ابن وهبون

أولا ـ أثر الثقافة المشرقية في شعره
ثانيا ـ موقف ابن وهبون من التراث المشرقي
المبحث الثاني ـ الروافد التراثية في شعره
أولا ـ الموروث الديني
ثانيا ـ الموروث الأدبي

2.المبحث الأول ـ التراث المشـــــرقي في شعر ابن وهبون:

1.2 أثـــــر الثقافة المشرقية في شعره : ظل الشّـــاعر الأندلسي متعلقا بأصله، مشـــدودا إلى تراث أجداده المشارقة، يتغذى من روافد ثقافاتهم الأصيلة، ويرتوي من معينها الذي لا ينضب، وظلت المنافســـة بينهم تدفعه بحماس نحو الشرق ؛ ليحاكي روائعه حينا، ويتحداه حينا آخر، ويفيد منه بين حين وحين، فالشعراء الأندلسيون " لم يفلحوا في استقلالهم عن الشرق، وابتكارهم وتجديدهم " [1].

وكان الشاعر الأندلسي يستعين بمخزونه من الأفكار والمعاني التي استمدها من ثقافاته المختلفة الدينية والأدبية والتاريخية واللغوية؛ لتغذية مضامين شعره وإثرائها متخذا التضمين أو الإشارة طريقا ؛ لخدمة غرضه الشعري ولا يعد هذا الاتكاء عيبا إذ أحسن الشاعر توظيفه [2]. ولا يجب التقليل من شأن أخذ الأندلسيين من المشارقة، والسير على منوالهم، حتى لا يجردوا من شخصيتهم الأدبية، فالأندلسيون ليسوا دائما تابعين والمشارقة ليسوا دائما متبوعين [3].

استطاع الشعراء العرب المسلمون في الأندلس أن يقيموا دولة للشعر والأدب وصلوها بتراثهم القديم، وصبوا فيها عصارة أفكارهم ثم ، ضمنوها خلجات أنفسهم ، فالتفتوا إلى ماضيهم وحافظوا على قداسته وأصالته، واهتموا بحاضرهم وجعلوا له مكانة، فكانوا بذلك قد استجابوا لنداء الماضي، ولنداء الحاضر الذي فرضته عليهم بيئتهم فجاء أدبهم يحمل في طياته الأصالة والتقليد [4]. ويعدّ ابن وهبـــون كغيره من شعراء الأندلس، لم يستغن عن تراثه القديم؛ لأنه يمثل له معينا لا ينضب، يغذي به أفكاره، ويقوي به تجربته الشعرية، ويستلهم منه معانيه الجديدة التي أسهمت في تشكيلها ظروف بيئته السياسية والأدبية فجاء أدبه متميزا بين أدباء عصره.

تبدو الثقافة المشرقية واضحة المعالم في شعر ابن وهبون، فالمتتبع لشعره يلاحظ ذلك الموروث في أغلب شعره، ولا عجب في ذلك؛ لأنه تثقف بثقافة عربية أصيلة امتزجت بالثقافة المغربية، وساعدت الظروف السياسية والبيئية في صقلها، فضلا عن عوامل الدين واللغة والدروس التي كان يتلقاها عند شيوخ الدين، كالأعلم الشنتمري [5]، الذي كان له دور في تثقيفه، كما أن علاقته بالأسرة الحاكمة، ومجالسته لكبار الشعراء في

مجالس الأدب كان له دور في ذلك، وما نتاجه الشعري إلا انعكاس لتأثير شعراء المشرق عليه، وما شعره إلا إعادة نتاج للشعر المشرقي، وفرع من فروعه.

لقد كانت النماذج المشرقية الأولى تنسج على منوال الأدب المشرقي، وتستمد عناصرها منه، فكثيرا ما كان أدباء الأندلس يلقبون بأسماء مشرقية [6]، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تعدى إلى إطلاق أسماء المدن والأماكن المشرقية على حواضر الأندلس، فسميت إشبيلية [7]، بحمص، وهو ما أورده ابن وهبون في قوله [8]:

إنـــا لفي حمص نستقـــري محـــاضرهـا

وللقلـــوب بـــــذاك اللـج محتضـر

فحمص التي ذكرها الشاعـــر في البيت هي في الأصل إحدى المدن السورية، غير إن الأندلسيين لتأثرهم بالمشرق أطلقوها على مدينة إشبيلية .

وظل ابن وهبون متعلقا بأصله العربي مشدودًا إلى وطنه، يغرف من تراث المشارقة ما يغذي أفكاره، ويقوي أسلوبه، ويجدد معانيه، وظل يحاكيهم ويجاريهم في أغلب الأحيان في أفكارهم وأساليبهم، فحافظ بذلك على موروثه، وأعاد صياغته في ثوب جديد، وهو ما يميزه بالفحولة يقول أحد الباحثين: " كان الشعراء في الأندلس يرجعون في أساليبهم وأفكارهم إلى الأساليب والأفكار البدوية؛ لأن العرب من أشد الأمم عصبة وحنينا إلى وطنهم وعيشتهم الأولى " [9] فأغلب شعراء الأندلس كانوا يحنون إلى أصلهم المشرقي الذي دفعهم إلى تأصيل موروثهم الثقافي بمختلف أشكاله في شعرهم، وإن دل ذلك فإنما يدل على حبهم لتراثهم وأصلهم المشرقي وذلك ما أشار إليه ابن بسام أيضا " إلا أن أهل هذا الأفق أبو إلا متابعة أهل المشرق "[10]. ولكن ذلك لا يعني أن ابن وهبون وغيره من الشعراء الأندلسيين كانوا مقلدين للمشارقة تقليدا لا حياة فيه، بل قد تكون ظروف الحياة هي التي دفعتهم إلى الرحيل إلى الأندلس والعيش فيها حاملين معهم أصالة تراثهم، فمزجوها بمظاهر الطبيعة الأندلسية التي وجدوا فيها متنفسهم فأفرغوا فيها عصارة أفكارهم، وصنعوا منها قوالب جديدة لشعرهم، فجاء شعرهم جميلا أخذ من ماضيهم الأصالة والتراث وأخذ من حاضرهم الجديد، المستمد من مظاهر البيئة والحضارة، التي أسهمت في تطور الشعر الأندلسي، وبذلك نبطل كل من اتهمهم بالتقليد الجامد.

وإن كان ابن وهبون وغيره من الشعراء الأندلسيين قد نظموا في كل فنون الشعر من مدح وغزل ورثاء. و على النسق الخارجي لشعراء المشارقة، فإن ذلك لا يعد تقليدا بل إحياء لتراثهم ومحافظة على أصالتهم ففنون الشعر واحدة في كل زمان ومكان[11]، ولكن براعة الشاعر في تصوير تلك الفنون تختلف من شاعر لأخر، ومن بيئة لأخرى،

ولعل ما جعل ابن وهبون يتميز بشعره هي الظروف البيئية والسياسية والاجتماعية التي عاشها في الأندلس، وهي التي جعلت منه شاعرا فحلا متمكنا في كل فنون الشعر، وكتب الأدب والتاريخ تشهد له بذلك.

كما امتلك ابن وهبون شهرة فلسفية تعود إلى ثقافته المشرقية، وصلته بشعراء المشرق، وإلى طبيعة حياته، وعلاقاته مع الآخرين، وتجاربه التي مر بها، فاغترف من معينه البدوي، ومزجه بتلك الثقافة فحقق بذلك تجديدا في إطار المحافظة على القديم [12].

وخلاصة القول إن ابن وهبون لم يبعد كثيرا عن إخوته المشارقة في مجاراته لهم، غير إن الظروف السياسية التي مرت بها بلاد الأندلس، والحياة الجديدة التي عاشها ابن وهبون في الأندلس وتأثير البيئة الأندلسية هي التي مكنته من إثراء تجربته الشعرية، وأسهمت في نبوغه، فهو لا يقل مرتبة عن شعراء عصره.

2.2 موقف ابن وهبون من التراث المشرقـي : يمتلك ابن وهبون ثقافة أدبية ترجع إلى شعراء المشرق، الذين كانت تربطه بهم رابطة الدم واللغة، فكان فيه حب وحنين يشده إليهم، وكان يرجع إليهم في أغلب شعره، ويستمد منهم طاقته الأبية التي مكنته من توظيف ذلك الموروث الأدبي في شعره، حيث غرف ابن وهبون من معينه البدوي ومزجه بتلك الثقافة التي تلقاها من شيوخ اللغة والدين في الأندلس؛ ليجعلها نقطة انطلاق لإبداعه؛ وليكون على صلة بتراثه، فحقق بذلك تجديدا في ظل المحافظة على القديم، والمتتبع لشعره يلاحظ ذلك الموروث الثقافي في أغلب أغراض شعره، وبذلك يكون ابن وهبون قد أخذ من التراث المشرقي ما يسهم في خلق تجربته الشعرية التي أعطت شعره سمة التميز والفحولة. وقد سار ابن وهبون على النهج الذي سار عليه المشارقة فلم يخل شعره من ذكر للقيم الروحية والأخلاقية، ومناقب الممدوح من جود وحلم ورحمة، وتحالف وتناصر، ودفاع عن الدين، وصفاته التي اختص بها من رجاحة عقل وحكمة وحسن تدبير، ولم تخل معانيه أيضا من بعض المظاهر البدوية الموروثة، كان قد ذكرها وألح عليها كالتذكير بأصالة الحسب والنسب والشرف والإقدام والبطش والفروسية وركوب الخيل والثبات في المعركة، والاستهانة بالموت في سبيل الدفاع عن الشرف والوطن [13].

وظف ابن وهبون التراث المشرقي في شعره من الجاهلية إلى الإسلام، فكان ينظر إلى هذا التراث على إنه المثل الأعلى، وإن إحساسه بالانتماء إلى أصله هو الذي دفعه إلى ذلك، وتراوح هذا التراث في أغلب قصائده، ومقطوعاته الشعرية، كما أنه اكتسب ثقافة واسعة من الدروس الدينية واللغوية والأدبية التي تلقاها من شيوخ الدين واللغة فأسهمت في صقل تجربته الشعرية، وجعلت منه شاعرا فحلا كغيره من شعراء عصره، وكان

يحضر مجالس الأدب ويشارك فيها وأحيانا كان الشعر ينساب منه ارتجالا دون تفكير مسبق مما يدل على نبوغه في الشعر بين معاصريه، وقد ذكرت له بعض تلك المجالس الشعرية مع بعض الشعراء المعروفين كتلك التي تظهر مدى إعجاب الشاعر الأندلسي بشعر أخيه المشرقي، فضلا على أنها تنضوي تحت تحد ورغبة في التفوق على الأخر، ومجاراته، فكانت لها صدي جميل بين المعارضين، وقد ذكرت لنا بعض كتب التراجم أن بعض الأمراء الأندلسيين كانوا يعمدون إلى اتخاذ المفاضلة بين شعرائهم وشعراء المشرق القدماء أسلوبا للحكم على جودة أشعارهم من ذلك ما أنشده عبد الجليل بن وهبون من قصيدة يمدح بها الرشيد، بن المعتمد بن عباد، يقول فيها [14]:

قـــل للرشـيـــد وقـــد هبت نـوافحـهـــا
أســرفت يـــا ديمـــة المعـــروف فـاقتصـــد
أشكـــو إليـك النـدى من حيث أشكـــره
لـــــو فـــاض علـى الـبحريـــن لـم يـــزد

وهذا مما أورده ابن بسام في قوله:" وأخبرني من لا أرد خبره أنه دخل علي عبد الجليل يوما وقد تطاول حتى كاد يمس رأسه باب السماء، فقال له: قد أتيت (بيت) فلم أزد، وما أحسب حسنه لأحد، وأنشد هذا البيت، قال الحاكي، فقلت له : فأين أنت من قول أبي عبادة:

تـنـصب الـبـرق مـخـتـالا فـقـلـت لـه
لـو جـدت جـود بـنـي يـزادان لـم تـزد

قال فبدا عبوسه، وتضاءل حتى كدت أدوسه، وقال : كسرتني والله لو خطر هذا على بـالي ما قلت ذلك " [15]، وتظهر هذه المعارضة، وغيرها من المعارضات عما كان يحظى به الشعر العربي القديم من تقدير وإكبار لدى الشعراء الأندلسيين الذين اتخذوا معايير الجودة فيه أساسا للحكم على جودة شعر الأندلسيين .

وفي موضع آخر نرى ابن وهبون يظهر نبوغه وتفوقه في قصيدة مدح بها المعتمد بن عباد وقد أجازه بتسعين دينارا فيها دينار مقروض، ولم يعرف السبب إلى أن تأملها وإذا هو يخرج من العروض الطويل إلى الكامل فعرف في وقتها السبب [16]، فيقول [17] مستندا إلى موروثه القديم :

قـل الـوفاء فـمـا تـلـقـاه في أحـد
ولا يـمـر لـمـخـلـوق عـلـى بـال
وصـــار عـنـدهـم عـنـقـاء مـغـربـة
أو مـثـل مـا حـدثـوا عـن ألـف مـثـقـال

وأظهر المعتمد إعجابه بهذين البيتين فعلق عليهما قائلا :" لمن هذان البيتان ؟ فقالوا : هما لعبد الجليل بن وهبون أحد خدم مولانا ! وهل يتحدث أحد عنا بأسوأ من هذه الأحدوثة ؟ وأمر له بألف مثقال، فلما دخل عليه يشكر له قال له : يا أبا محمد هل عاد الخبر عيانا ؟ قال أي والله يا مولاي ودعا له بطول البقاء، فلم هم بالانصراف قال له : يا عبد الجليل الآن حدث بها لا عليها، يعني ألف مثقال" [18].

ولا نعجب من ذلك فقد" كان شاعر بلاط مصقولا متحررا من الأوضاع" [19]، ولعل هذين البيتين يؤكدان ذلك، وكان " يطبع شعره على غرار المشارقة " [20]، وإن دل ذلك فإنما يدل على براعة الشاعر، ونهجه نهج أجداده المشارقة، ولعل ما ورد في البيت الأول لابن وهبون يحاكي قول المتنبي [21]:

غـــاض الـوفـــاء فـمـــا تـلـقـــاه فـي أحـــد
وأعـــوز الـصـــدق فـي الإخـبـــار والقســـم

فمعنى البيت قريب من بيت المتنبي في انعدام الوفاء بين الناس الذي أصبح متفشيا بينهم بعد أن كان سمة
من السمات التي يعتز بها العربي، وتمثل جزءا من أصالته، وفي هذا دلالة على تأثر الشاعر بموروثه القديم.

المبحث الثاني ـ الروافد التراثية في شعر ابن وهبون

1.3 الموروث الديني : ترجع ثقافة ابن وهبون الدينية إلى أصله المشرقي، والتي تبدو في أغلب شعره متنوعة ما بين القصص القرآني، والحديث النبوي، والفقه، وكلها تشكل روافد،استقى منها ابن وهبون تجربته الشعرية، ولعل اتصاله بمورثه، واهتمامه به، جعل منه شاعرا فذا تشهد له بعض المصادر بالفحولة [22]، وتأثر بالقرآن الكريم تأثيرا كبيرا واتخذ من القصص القرآني ما يخدم غرضه، ويشبع قريحته، ونرى ذلك الموروث الديني في توظيفه قصة سيدنا يوسف عليه السلام، في قوله [23]:

كـــأنـي واحـد مـن عـرف سـؤدده
ريح لهـا القميص سرت في نفس يعقـوب".

وأخـــذ ابن وهبون معنى هذا البيت من قوله- تعالى- "اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ " [24].

إن في استلهام الشاعر لهذا التراث أثرا في إثراء المعنى، ودليلا على أصالة شعره وجودته وأحسن الشاعر إذ وظف ذلك في مدح المعتمد بن عباد. كما وظف قصة سيدنا يوسف عليه السلام وعلاقته بأخيه بنيامين، الذي يكن له أخوة و محبة وعطفا، وهو ما يكنه المعتمد بن عباد لحليفه القائد يوسف بن تاشفين فيقول [25]:

فيوسف يوسف إذ منه

كيامن لا وهي لكما نظام

يبدو إن ابن وهبون كان شديد التأثر بذلك القصص القرآني، وهوما مكنه من توظيف ذلك في شعره، فالمناصرة والتحالف الذي كان بين سيدنا يوسف عليه السلام وأخوه بنيامين ضد أخوته كان لكشف أفعالهم الشيطانية وما كادوه من مكائد له " قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ"[26] ويمثل مثل هذا التحالف والمناصرة ما كان بين المعتمد وحليفه يوسف بن تاشفين الذى تناصر وتحالف معه ؛لأجل نصرة الدين الإسلامي ضد النصارى في موقعة الزلاقة، الشهيرة 479هـ.

ويبدو إنه كان كثير الاطلاع على القصص الديني، وهذا موضع أخر يظهر فيه استقائه لذلك الموروث يقول في المدح [27]:

بعيد الرضى في النصح ما كان راضيا

لو أن له " السبع الشداد قباب"

فالسبع الشداد وردت في القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام وهي تتعلق بتفسير رؤية العزيز ملك مصر الذي طلب من سيدنا يوسف تفسيرها في قوله تعالى" ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ "[28]، وإن دل ذلك إنما يدل على سعة ثقافته الدينية واهتمامه بتراثه القديم، ومازال ابن وهبون يستلهم ذلك التراث في شعره حين يقول [29]:

في الجب إذ يحوي سميك أسوة

لو حم منك وقد حجبت لقاء

كما وظف قصة سيدنا موسى، وأخيه هارون عليهما السلام في قوله [30]:

وما كان هارون أصح وزارة

لموسى وهل دون السحاب حجاب

فمفردات البيت مستوحاة من قوله تعالى" وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَٰرُونَ أَخِي (30) ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا(34) " [31]، فما ورد في نص ابن وهبون يكشف عن مدى قدرته في الإبداع على تطويع لغته الشعرية في ربطه بقصة سيدنا موسى عليه

السلام وجاء التضمين هنا للبيت كله بمعنى ليس هناك أحد يشدد به أزره غير أخيه هارون، مثل مؤازرة يوسف بن تاشفين للمعتمد بن عباد، ويظهر ابن وهبون توظيفه للموروث القرآني في قصة أخرى من القصص القرآني حيث جعل من قصة موسى عليه السلام موردا استقى منه ما ضمنه في نصه الذي يقول فيه [32]:

حتى إذا انجاب ذاك البشر عن جبل
فاخلع خناعة موسى جانب الطور

وجاءت معاني هذا البيت مأخوذة من قوله تعالى" وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا (52) وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا(53) " [33] ولعل مثل هذا التوظيف يزيد من قوة المعنى، ويمد الشاعر بمعين لا ينضب؛ لإثراء تجربته الشعرية، وإعطاء الممدوح حقه من الوصف.

ولم تقتصر روافد الثقافة المشرقية عند ابن وهبون على الأثر الديني المتمثل في القرآن الكريم فحسب، بل امتدت لتشمل أيضا الثقافة الإسلامية المتمثلة في أمور الدين من الفقه والعبادات والمعاملات، وله في هذا شواهد عدة تدل على تمرسه بتلك الثقافة واستلهامه لذلك الموروث بكل أشكاله، من ذلك ما وظفه في مدح المعتمد بن عباد مستغلا قرب حلول العيد، يقول [34]:

دنا العيد لو تدنو كعبة المني
وركن المعالي من ذؤابة يعرب
فيا أسفا للشعر ترمى جماره
و يا بعد ما بيني وبين المحصب

فألفاظ البيت (كعبة، ركن، جماره، المحصب) جميعها تتعلق بالموروث الديني عامة وأركان الحج خاصة ويبدو أنها تأصلتفي ابن وهبون الذي ينظر إلى ولي نعمته على أنه عظيم يستحق الطاعة والإخلاص له مكانة مقدسة كقداسة تلك الأماكن المقدسة وأن اشتياقه للمعتمد كاشتياقه للأماكن المقدسة فزاده ذلك استلهاما وإبداعا في مدح المعتمدومن الأثر المشرقي في شعر ابن وهبون قوله [35]

عاد المصلي بوضاح أسرته
تنبيك عن خلد بالفهم مشبوب
فاستقبلت قبلة الإسلام بدرا علا
يمسي له البدر نجما غير محسوب
وغرة تطلب الآمال قبلتها

تدل هذه الكلمات (قبلة الإسلام ـ المصلي ـ المحاريب)على أماكن للسجود والعبادة لله، وقد خصها ابن وهبون في إبراز خصال الممدوح؛ لتأدية فرضا من فروض العبادة، كما دل التعبير بها على تمسكه بالعبادات التي تمثل أصالته وموروثه العربي.
ونراه مستلهما الثقافة الإسلامية معبرا عنها ببعض الألفاظ التي تدل على عربيته وإيمانه بالله، من خلال توظيفه ببعض الكلمات عن البعث والحساب فيقول [36]:

للـدهـــر عنـــدك فـي جنـابـــك ليلـــة
وضـاحـــة الأقـــطـــــار والـجـنبـــــات
لـــو أنـهـــا يـوم الحســـاب صحيفـــة
فـــي راحـتـي لـضقـت بـالـحسنـــــات

فالكلمات (الحساب ـ الحسنات ـ صحيفة) كلها تتعلق بيوم البعث يوم القيامة كان الشاعر قد استلهمها من موروثه الديني لمدح ابن عباد وذكر محاسنه.
ومازال ابن وهبون يغرف من معينه البدوي الإسلامي حين يوظف حسن معاملة الأسير في الحرب من خلال مدحه للمعتمد بن عباد فجاء المعنى جميلا ومؤثرا، إذ يقول [37]:

وإذا أســـرتم فمـــا في أســـركـــم قـــنط
وإن عـفـوتـم فمـــا فـي عـفـــوكـم حـــلل
يـقبـــل الغـــل مـرتـــاحـــا أسـيركـم
فـهـــو البشـير لـــه أن تسـحـــب الحـــلل

يظهر ذلك الموروث واضحا في البيتين من خلال توظيف الشاعر لمعاني (العفو وحسن معاملة الأسرى وإحساس الأسير بالراحة وعدم الخوف واليأس) فكلها تعد من المعاملات الحسنة التي حث عليها الإسلام وطالب بها في معاملة الأسرى، ويبدو أن الشاعر تأثر بها ، فربط بينها وبين ما يتمتع به الممدوح من خصال حميدة .
وفي تأثره بالقصص الديني يقول [38]:

فـــإن شـئت الـلـجـــين فـــثـم ســـــام
وإن شـئت الـنـضـــــار فثـــم حـــام

فذكر الشاعر (لسام وحام) ابني آدم عليه السلام دليل على ولعه بالموروث الديني، وإن تلك الثقافة قد انغرست فيه، وزادت من إلهامه الشعري، فتدفقت منه تلك المعاني التي

أشبعت قريحته، وقد وظفها في المدح، وربط بينها وبين يختص سام وحام، وهي رسالة للعدو، إن كان يرها حربا فهناك سام مدعاة للحرب، وإن كان يريدها سلما فهناك حام وهو مدعاة للسلام، وكلاهما إخوة ويرمز بذلك إلى الجيشين المرابطين و الإسلامي، وكلاهما هدفهما واحد، هو نصرة الدين والدفاع عنه.

ويستلهم معاني القرآن الكريم حين يتحدث عن الموت، وما تؤول إليه النفس عند موتها إذ ترجع إلى أصلها الذي خلقت منه، وهو التراب والماء، ولعل في ذلك تقديس للموروث الذي تأصل فيه، فيقول [39]:

ما النفس إلا شعلة سقطت إلى
حيث استقل بها الثرى والماء
حتى إذا خلصت تعود كما
بدت ومن الخلاص مشقة وعناء

فمعاني هذين البيتين مستوحاة من قوله تعالى " يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ (27) ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ(28) " [40]، وربط الشاعر بين معنى هذه الآية، وبين قوله السابق ؛ ليقوي المعني، ويؤكد هذا الأثر الديني حين يوظفه في الرثاء، ويذكرنا بأن الموت حق.

وفي الغزل يظهر تأثره بالموروث الديني فيقول [41]:

وصار على كرامته بساطا
و لفت بيننا ساق بساق

في هذا البيت تضمين لقوله تعالى " وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ (29) " [42]، من خلال تضمين الشاعر للفظتي (ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ) وإن دل ذلك فإنما يدل على تأثره بالقرآن الكريم.

ويقول في الغزل مستلهما معناه من القرآن الكريم [43]:

دعوت دعاء مظلوم عليه
وكان الله مستمعا مجيبا

ففي هذا البيت تضمين لقوله تعالى "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ (186) " [44]، فالشاعر على ثقة بأن ربه سميع الدعاء وأنه مجيب

دعوة المظلوم إذا دعاه، مما يدل على ثقافة الشاعر الدينية وتأثره بالدين الإسلامي، وإن الله قريب يرى كل شيء ويسمعه.

فالمتتبع لشعر هذا الشاعر يستشعر بذلك الحس الثقافي في شعره من ذكره لألفاظ دينية، تدل على سعة اطلاعه على الموروث الإسلامي، و تأثره به.

وخلاصة القول في هذا إن ابن وهبون كان يرجع في تجربته الشعرية إلى الموروث الديني من القرآن الكريم والثقافة الإسلامية، ولم يكن بعيدا عن موروثه كغيره من شعراء عصره.

2.3 الموروث الأدبي : ولم يتأثر ابن وهبون بالثقافة الدينية فحسب بل تأثر بشعراء المشرق، وتتبع أثرهم واستقى منهم ما يعينه على تجربته الشعرية، وكان يرجع في شعره إليهم تحت مسمى التضمين سواء أكان ذلك التضمين تاما للبيت، أو جزءا منه، فالمعنى قبل التضمين يكون واضحا، ولكنه بعد التضمين يزداد وضوحا وتأكيدا ؛لأن التضمين يكشف قدرات الشاعر، وتمثيله للنصوص القديمة، وقدرته على تطويع لغته ؛ لخدمة أغراض شعره الفنية، ويمثل التضمين صورة من صور الاقتباس الذي ينصرف إلى القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وبالتالي فإن التضمين ينصرف أيضا إلى الشعر، ولو تقصينا الموروث الأدبي في شعر ابن وهبون لرينا أنه قد تقلده، وأبدع فيه، يقول في المدح [45]:

جاريتم الدهر في مضمار حلبته
جريا سواء إلى أقصى من الأمد
لكن تحيتها قدما وقد شهدت
يا دار مية بالعلياء فالسند

وهذا ما يعرف بتضمين الأشطر، حيث ضمن ابن وهبون شطر البيت الثاني من قول النابغة الذبياني [46]:

يا دار مية بالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالف الأبد

فالوقوف على الأطلال وتحية الديار، سمة بارز من سمات الشعر الجاهلي عند شعراء الغزل، الذين تطرقوا لهذه العادة عند الرحيل أو فراق المحبوبة، وإذ يستوحيها ابن وهبون، ويستحضرها في مدحه للمعتمد بن عباد؛ ليربط نصه بنصوص إخوته

المشارقة، وإن تلك الخصال التي ذكرها في البيت متأصلة فيه منذ القدم، مما يدل على أن الشاعر كان على صلة بموروثه، وتتبع أشعار إخوته المشارقة، وأنه كان يجاريهم، وإن كان النابغة قد وظف ذلك في الغزل فإن ابن وهبون وظفه في المدح، وكل واحد منهما عبر بطريقته الخاصة ومقدراته الفنية عن ذلك.

وله في وصف شجاعة الممدوح مستعينا بالموروث القديم، يقول [47]:

طـــرف يـــزل عليـــه ســـرج فـارســـه
ولـيـس مـمـــا تـضـم الحـــزم والـعـــذر

فابن وهبون في بيته السابق يجاري قول امرئ القيس [48]:

يـــزل الـغـــلام الخـف عـــن صهـواتـــه
ويلـــوي بـأثـــواب الـعـنيـــف الـمثقـــل

من الواضح أن ابن وهبون كان متتبعا لشعراء المشرق، ومتأثرا بهم، ولعل ما ضمنه من بيت امرؤ القيس يؤكد ذلك، ولم يكتف بالمعنى، بل جاره حتى في النسق الخارجي للبيت، حيث كلا البيتين من البحر الطويل وهو من البحور السهلة.

يبدو أن شعراء المشرق كانوا مدرسة أدبية استوحى منها ابن وهبون أغلب معاني شعره ، حتى كاد ينافسهم، ولعل تتبعه أثر المتنبي يظهر واضحا حين يقول في المدح [49]:

ومـــا المـــدائـــح إلا بـالـمـلـــوك وهـــل
يبـــدي سنـــا العقـــد إلا النحـــر والجيـــد

وإذ نرى مثل هذا المعنى في قول المتنبي [50]:

وأصبـــح شعـــري منهمـــا فـــي مكـانـــه
وفي عنـــق الحســـنـــاء يستحـسن العقـــد

وعند التأمل في البيتين نرى التشابه بينهما واضحا، فالعقد جميل، ويزداد جمالا عندما يكون في عنق الحسناء، وكذلك المدح جميل ويزداد جمالا عندما يكون في مدح الملوك، غير إنهما اختلافا في الغرض فالمتنبي قاله في الغزل وابن وهبون قاله في المدح. وما يزال ابن وهبون ينسج على منوال المتنبي فيقول [51]:

حتى بـمـــا شئت مـن غـــراء شـــاردة
يـصغي الأصـــم إليهـــا وهـــو مـفـــؤود

فمعنى البيت أخذه ابن وهبون من المتنبي الذي قال فيه [52]:

أنـــا الـــــذي نظـــــر الأعمـــى إلـــى أدبـــي

وأســمــعــت كلماتــي مـــــن بـــــه صـمـــــم

يكشف لنا التشابه بين البيتين عن معنى مشترك بينهما فكلاهما ينظر إلى شعره ويتباهى بجودته، فالمتنبي يصف أدبه بالحسن والجودة ، وهو من حسنه يسمع الأصم، وكذلك ابن وهبون يصف قصدته بالجمال والروعة وهي من جمالها تبصر الأعمى وتسمع الأصم، وفي الوفاء متأثرا بالمتنبي يقول ابن وهبون [53]:

قـــل الـوفـــاء فـمـــا تـلـقـــاه فـي أحـــــد

ولا يـمـــــر لـمـخـلـــــوق عـلـى بـــــال

فمعنى هذا البيت هو المعنى نفسه الذي ضمنه بيت المتنبي [54]:

غـــاض الـوفـــاء فمـــا تلـقـــــاه في أحـــــد

ولا يمـــــر لـمـخـلـــــوق عـلـى بـــــال

يظهر التأثر واضحا في البيتين، فالوفـاء أصبح منعدما بين الناس ولا يكاد يرى في أحد.

كما ترسم ابن وهبون خطى المتنبي في شعره الفلسفي حين يقول [55]:

لـتـعـلـــم أطـــــراف الأسـنـــــــة أنـنـي

كـفـيـل بهـــا عنـد الصـــــدى بشـــــراب

وتشـهـــد أطـراف اليراعـــات أنـني

بـهـــن مـصيب فصـــل كل خطـــاب

ولـيس نـديـــــم غيـر أبـيـــض صـــــارم

وليس ســـمـيري غيـرشـــخص كتـــاب

يتحدث ابن وهبون عن الأسنة والحسام والكتاب ... ويصف شجاعته في المعركة، وإنه يجعل من السيف صديقا، ومن الشعر سميرا، وهذا المعنى تحدث عنه المتنبي في قوله [56]:

فالخيـــل والليـــل والبـيـــــداء تعـــرفنـــي

والحـــــرب والضرب والقرطـــاس والقلـــم

ولا زال ابن وهبون يتتبع أثر المتنبي، حيث يكشف لنا هذا البيت ذلك التأثر يقول [57]:

يعـــز علـــى العليـــــاء أنـــي خـــامـــل
وإن بـصـــرت مـنـي خـــــود شـهـــــاب
وحـــيـث يـــرى زنـــد الـنـجابـة واريـــا
فـثـم يـــــرى زنـــــد السعـــــادة كابـــي

وقد ألم في هذا المعنى بقول المتنبي [58]:

ومـــا الجـمـــع بيـن المـــاء والـنـــــار
بـأصعب مـــن أن أجمـــع الجـــد والفهمـــا

فمعنى النصين يكمن في أنه لا قيمة للمال والفكر مالم يكونا سببا في تحقيق السعادة، لأن السعادة الحقيقية تكمن في الداخل، وليس في جمع المال.

وفي هجاء الأذفونش يقول ابن وهبون [59]:

سيعـبـد بـعـــدها الـظـــلـمـاء لـمـــا
أتـيـــح لـــه بـجـــانـبهـــا اكـتـتـــام

فابن وهبون يحاكي في الهجاء قول المتنبي :[60]

وكـم لظـــلام الـلـيـــل عنـدك من يـــد
تخـــبـر أن الـمـانـويـــة تـكـــذب

ويكشف البيتان عن معنى واحد، هو إسداء الفضل إلى الليل الذي يتخفى ويتستر عليه، فالأذفونش بعد هزيمته يسدي الفضل إلى الليل الذي تستر به عن أعين الناس؛ هربا من فضيحة الهزيمة وكذلك المتنبي هو الأخر أشار إلى فضل الظلمة التي تسترت عليه، حتى إنه لم يعد يؤمن بالمانوية (إله الشر)، واتهمها بالكذب لأن ما قدمته له الظلمة هو خير وليس شرا.

وله في الرثاء متأثرا ببعض شعراء المشرق فيقول [61]:

أكـــبـرت نعي جـــلالـــه فـنـفـيـتـــــه
وهـــو الجليـــة مـــا عـليـــه خـفـــاء

يقول ابن بسام : " وأما قوله : أكبرت نعي جلاله ... البيت، فقل أحد من الشعراء قال بيتا في الرثاء إلا ولهذا المعنى أشار وحوليه دار؛ لأنه من متداولات المعاني " [62]، فقول ابن وهبون شبيه بقول المتنبي [63]:

طـوى الجـزيـرة حتى جاءنـي خبر
فـزعـت فيـه بـآمـالـي إلى الـكـذب

والتشابه بين البيتين يظهر شكلا ومضمونا مما يدل على اقتفاء ابن وهبون أثر المتنبي.
وقال في الرثاء متأثرا بالمتنبي [64]:
مـا الـنـفس إلا شـعـلـة سـقـطـت إلى
حـيث اسـتـقـل بـهـا الـثـرى والـمـاء
حتى إذا خـلـصت تـعـود كـمـا بـدت
ومـن الخـلاص مـشـقـة وعـنـاء

فرأي ابن وهبون في النفس "هو رأي أكثر فلاسفة الشرق" [65] وهو رأى المعري أيضا في حديثه عن النفس حين قال [66]:
وأوصـال جسـم لـلـتـراب مـآلـهـتـا
ولـم يـدر أيـن تـذهـب روحـهـا

وهو رأي المتنبي أيضا عندما يقول [67]:

تخـالـف النـاس حتى لا اتفـاق لـهـم
إلا عـلـى شجـب والخـلـف فـي الشـجـب
فـقيـل تخـلـص نفـس المـرء سـالمـة
وقيـل تشـرك جسـم المـرء في الـعطـب

تحدث ابن وهبون عن النفس وما آلت إليه عند موتها، وأنها شعلة مرجعها إلى الثرى والماء، وهذا المعنى نفسه أشار إليه المتنبي والمعري، ففناء الإنسان يكمن في وجوده، وأن الجسد يذهب إلى الثرى، وأن الروح لا تدرى أين تذهب، ولعل" شهرة ابن وهبون الفلسفية حول الموت تعود إلى ثقافته المشرقية وصلته بأبي العلاء والمتنبي وإلى طبيعة حياته الشخصية وعلاقاته مع الأخرين وتجاربه التي مر بها " [68] .
ويقول متأثرا بأبي فراس الحمداني [69]:

ستسألك النساء ولا الرجال
فحدث ما وراءك يا عصام

ونراه نفس المعنى في قول أبي فراس حين يقول [70]:

لقيناهم بأسياف قصار
كفين مؤونة الأسل الطوال
تدور به إماء من قريظ
وتسأله النساء عن الرجال

وظف ابن وهبون معنى ابن فراس في هجاء الأذفونش عن سؤال النسوة للعائدين من الحرب عن رجال هزموا فقتوا، وهو نفس السؤال الذي سأله النسوة لرجال سيف الدولة عن رجال قاتلوا فاستشهدوا.
وله في الرثاء أيضا فيقول [71]:

يا تربة استبقي سناه و يا فلا
لا تلحقنك جريمة شنعاء

وقد أخذ هذا المعنى من قول المعري [72]:

فيا قبر واه من ترابك لينا
عليه واه من جنادلك الخشن

لأطبق إطباق المحارة فاحتفظ
بلؤلؤة المجد الحقيقة بالخزن

فمعني بيت ابن وهبون قريب جدا من معنى بيت المعري
ويقول متأثرا بشعراء المشرق [73]:
أخذ الأسى فيه البرود بتأثره
مما جناه الزهو و الخيلاء
وهو شبيه قول ابن الرومي [74].
أخذت من رؤوس قوم كرام
ثأرها أرجل الأعلاج

فالمعنى في البيتين يشير إلى أن الإنسان إذا مات قد يخلد بأعماله العظيمة، وقد يحمله معه أعمالا ولكنها لا تخلده .

ومن تأثره بشعراء المشرق أيضا قوله [75]:

أنـى وسـعـت وأنت مضجـــع واحـــد
مــن هـــذه الأفـــاق منـــه مـــــلاء

وهو في هذا البيت يحاكي قول الأشجع السلمي [76]:

فـأصبـح في لحـد مـن الأرض مـيتـــا
وكـــان بـــه حـيـــا تضيـــق الصحـاصـــح

وله في المدح يقول [77]:

عجـــزنـــا أن نحقـــق منـــه وصفـــا
ومـا عجـــز الـرشـيـد لـهـا امـتثـــالا
يـعـــارضـه بكـــل سـبيـــل مجـــد
فـتحسبـــه يـنـــافســـــه خـــــلالا
وكـــــاد يـــكـونـــه حـتـى تـــــراه
يـحـاذيـــه و لا يـقـــوى انـفصـــالا
فـلـــم أر قـــبـلـــه بـدرا كسـتـاه
جـــوار الشـمـــس تـمـــا واكـتمـــالا

احتذى ابن وهبون في وصفه للرشيد في تقلده لمذهب أبيه، بما وصفت به الخنساء أخاها صخر فقيل لها مدحت أخاك حتى هجوت أباك، تقول [78]:

جـاري، أبـاه فـأقـبـــلا وهـمـــا
يـتـعـــاوران مـــلاءة الـحضـــر
حتـــى إذا جـــد الـجـــراء وقـــد
تسـاوي هـنـــاك الـعـــذر بـالـعـــذر
وعـــلا هـتـــاف النـاس أيـهـمـــا
قـــال الـمـجـيـب هـنـــاك لا أدري
بـرقـت صفيحـــة وجـــه والـــده
ومضـى علـى غلـوئـــه يجـــري

وتكشف هذه الأبيات عن مجاراة ابن وهبون المعنى لأبيات الخنساء، فهو يمدح الرشيد بن المعتمد ويشبهه بأبيه في كل شيء ينافسه في شيء، حتى كاد يكون صورة عنه، وهو ما عبرت عنه الخنساء في تشبيه أخاها صخر بأنه يشبه أباه في كل شيء، حتى أن الناس لم تعد تفرق بينهما ولعل هذا خير دليل على تتبع ابن وهبون لشعراء المشرق.

ويقول في مرثيته [79]:

أيغرني أن يستطيل بي المدى
وأبي بحيث تواصت الغبراء

وهذا المعنى فيه شبه من قول المعري إن لم يشبهه كل الشبه [80]:

وقبيح بنا وإن قدم العهد
هوان الآباء والأجداد

وحيث إن الصحراء تشكل جزءا من حياة العربي فقد تأثر بها ابن وهبون، في ذكره أماكن بدوية، وبعض مظاهر البيئة العربية، ولولم يكن ابن وهبون يعشق تلك الأماكن ما كان ليذكرها ،كما أنه يفتخر بالعرب وبشجاعة العربي، فهو يقول [81] :

وجاء بعظلم الصحراء لونا
ولكن ثبت مفرقه ثغام

ويقول كذلك [82]:

أتنكر العجم أن العرب سادتها
وتشهد البيض والخطية السمر

فذكره للعرب وإشارته إلى الخطية السمر دليل على تأثره بالموروث العربي، وبأصله العربي الذي ينتمي إليه، وسخريته من العجم دليل على حبه للعرب وافتخاره بها، ومن مظاهر البيئة التي استوحاها ابن وهبون (عظلم وثغام) فكلها تدل على تأثره بالموروث العربي.

وأيضا ذكره لأماكن عربية، دلالة على الموروث المشرقي يقول [83]:

إنا لفي حمص نستقري محاضرها
وللقلوب بذاك اللج محتضر

فحمص حاضرة بلاد الشام في المشرق، وإحدى معالم الحضارة فيها، ولتعلق الأندلسيين بها وتأثرهم بها تغنوا بها في أشعارهم، وأطلقوا اسمها على إشبيلية التي تمثل حاضرة بلاد المغرب، كما ظهر ذلك في بيت ابن وهبون.

ومن مظاهر الموروث المشرقي في شعره ذكره لبعض العلوم كعلم الفلك، وذكره لبعض الشهور العربية، وتوظيفها في مدح ابن عباد ؛ لما لهذه الشهور من دلالة على السعد والتوفيق في حياة ابن عباد، يقول [84]:

لـــــه آذار مـــــن شـهـــر سمـوت بـــــه

حـتى لـقيت عليـــه الشـــمس فـي الحمـــــل

ويقول ابن وهبون [85]:

حـيـث يـــرى زنـــــد النجـابـة واريـــا

فـثـم يـــرى زنـــــد السعـــــادة كـــابـــي

وتأثر في هذا البيت بقول أبي إسحاق الصابي [86]:

فحـيث يـكـون الـنقص فـالـرزق واســـع

وحيث يكـــون الـفضـل فالـــرزق ضيـــق

ومن مظاهر الموروث المشرقي في شعره قوله [87]:

دعـــوت دعـاء مـظـلـــوم عليـــه

وكـــــان الله مـــستـمـــعـــــا مـجـيـبـــــا

فـطـــوقـــه الـزمـــان بـمـــــا جـنـــــاه

وعلـــــق مـــن عـــــذاريـــــه الـذنـــــوب

وهذا المعنى نراه في قول الحكيم المصري [88]:

مـــا أرفـــق بـــأهـــــل الـهـوى

إذ صـبـر الـجـــــور علـــى الـجـــائـــــر

يدور معنى هذا البيت حول الشكوى من الحبيب الذي ابتعد عن محبوبه، فسبب له ألما، ووجعا بسبب الجفاء عنه، ولم يجد ما يفرج عنه إلا التضرع إلى الله، فهو الذي يسمع

الدعاء ويجيبه، وهذا التصرف من الأعمال الذي يقوم به العبد نحو ربه، هو من العادات الموروثة التي اعتادها الناس في حياتهم.

وخلاصة القول إن الروافد الثقافية قد تعددت في شعر ابن وهبون، فمنها الموروث الديني الذي تنوع، وكان أكثر توظيفا في شعره، وقد اتخذ منه ابن وهبون موردا استقى من المعاني ما يميز شعره بالتراث المشرقي، ولم يقتصر على الموروث الديني، بل وظف الموروث الأدبي والثقافي المتنوع، فجاء شعره متضمنا لذلك.

الخاتمة:

بعد دراسة الموروث المشرقي في شعر ابن وهبون، وتتبع أثر المشارقة في شعره، توصل الباحث إلى النتائج التالية :

1ـ امتلك ابن وهبون ثقافة دينية وأدبية واسعة، استقاها من الدروس التي تلقاها من شيوخ اللغة والدين، ومن علاقاته مع كبار الحكام والشعراء من خلال المعارضات، والمجالس الأدبية التي كانت تعقد بينهم، والتي أسهمت بدورها في منح شعره سمة الفحولة.

2ـ سار ابن وهبون على النهج المشرقي، فتتبع أثر شعراء المشرق، وارتوى من تراثهم ما يسد غرضه الشعري، ويشبع قريحته، ويغذي أفكاره، فلم يخل شعره من ذكر للقيم الروحية والأخلاقية للممدوح من حلم وعفو...، ولم يخل أيضا من المظاهر البدوية كالتذكير بأصالة الحسب والنسب التي كان يعتز بها العربي.

3ـ خضع شعر ابن وهبون لمؤثرات الحضارة الأندلسية، وظروف الحياة الجديدة في الأندلس، فجاء شعره يحمل في طياته الأصالة والقداسة للقديم من حيث الالتزام بمنهج القصيدة وموسيقاها، ويرتدي ثوبا جديدا في مضمونه، وموضوعاته التي فرضتها عليه البيئة الجديدة.

4 ـ ضمن ابن وهبون أغلب شعره من الموروث الديني والأدبي والثقافي، وبعض العلوم الأخرى كعلم الفلك، كما ضمنه فلسفة دينية اكتسبها من أكبر شعراء الشّـــرق ـ كالمتنبي وأبي العلاء المعري ـ منحت شعره مسحة دينية.

فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا **فمن** أنفسنا، وما التوفيق إلا بالله ومن عند الله، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله

الهوامـــــــــش:

(1) الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1976م، ص 160

(2) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، محمد مجيد السعيد، بغداد، الرشيد، 1980م، ص380

(3) النوريات، في الشعر الأندلسي، مقداد رحيم ،عالم الكتب، بيروت، ط1، 1986م، ص21.

(4) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر عصر ملوك الطوائف، سعد شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة ، بلا ط ، بل سنة ، ص 402.

(5) الذخيرة ق2م1، ابن بسام الشنتريني ، تح: إحسان عباس ، الدارالعربية للكتاب ، ليبيا تونس ، بلاط، 1981م ، ص 474

(6) ملامح الشعر الأندلسي عمر الدقاق ، دار الشرق العربي ، بيروت ، لبنان ، بلا ط ، بلا سنة نشر، ص44 – 45 ، والأدب العربي في الأندلس ،ص 160، مرجع سابق ذكره ، وأدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ، بطرس البستاني ، دار نظير عبود ، بلا مكان نشر ، بلا ط ، بلا سنة نشر ،ص 37 – 38

(7) الروض المعطار في خبر الأقطار ، الحميري ، تح: إحسان عباس ، بيروت ، لبنان ، بلا ط، 1980ن، ص 18 – 20 ، معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، تح : فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط1، 1990ف، ص195

(8) الذخيرة ق2م1، ص 504 ، مصدر سابق ذكره

(9) الأدب العربي في الأندلس ، ص 165 ، مرجع سابق ذكره

(10) الذخيرة ق2م1،ص 12،مصدر سابق ذكره

(11) الأدب العربي في الأندلس ،ص 165، مرجع سابق ذكره

(12) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف ،ص 377 ، مرجع سابق ذكره

(13) دراسات في الأدب الأندلسي، العربي سالم الشريف، دار شموع الثقافة، الزاوية، ليبيا، ط1، 2003م، ص60، ومجلة دراسات أندلسية، جمعة شيخة، مطبعة وفاء، تونس، ع1993،15م، ص16

(14) الذخيرة ق2م1،ص502 ،مصدر سابق ذكره

(15) الذخيرة ق2م1، ص 502 ، مصدرسابق ذكره

(16) أخباروتراجم أندلسية للسلفي، تح إحسان عباس، المكتبة الأندلسية، بلاط، 1985م، ص19

(17) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تح محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط7، 1978م، ص150–151

(18) دائرة المعارف الإسلامية، م1، بطرس البستاني، ناصر خسرو، باسار مجدي، طهران، بلاط، 1883م، ص744

(19) الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه، إميليو غريسة غومس، تر: حسين مؤنس،دار الرشاد، القاهرة ط2 ، ص51

(20) تاريخ الأدب العربي، ج4، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط1، 1981م، ص 664

(21) ديوان المتنبي، دار صادر بيروت، ط3، 2002م، ص212

(22) بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، الضبي، الكاتب العربي،القاهرة، ط6، 1967 م، ص 387

(23) الذخيرة ق2م1، 496، مصدر سابق ذكره

(24) القران الكريم،سورة يوسف الآيتان (93 – 94).
(25) الذخيرة ق2م1، ص 245 ، مصدر سابق ذكره
(26) القران الكريم ، سورة يوسف ،الآية 40
(27) الذخيرة ق2م1، 494، مصدر سابق ذكره
(28) القران الكريم، سورة يوسف، الآية 48
(29) الذخيرة ق2م484،1، مصدر سابق ذكره
(30) الذخيرة ق2م495،1، مصدر سابق ذكره
(31) القرآن الكريم ،سورة طه، الآيتان 29 ــ 34
(32) قلائد العقيان في محاسن أهل الأعيان، للفتح بن خاقان، تح محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ، 1995م، الهامش ص 594
(33) القران الكريم ،سورة مريم، الآيتان 52 – 53
(34) قلائد العقيان في محاسن أهل الأعيان ،ص 590، مصدر سابق ذكره
(35) الذخيرة ق2م1، 496، مصدر سابق ذكره
(36) الوافي بالوافيات ج18، الصفدي، تح: ريتر وآخرون، دار صادر بيروت، لبنان، ط2، 1991م، ص54
(37) الذخيرة ق2م1،ص 492، مصدرسابق ذكره
(38) الذخيرة ق2م1،ص 247،مصدر سابق ذكره
(39) الذخيرة ق2م1 ، ص 485 ، مصدرسابق ذكره
(40) القرآن الكريم ،سورة الفجر،الآية 32
(41) الذخيرة ق2م1،ص 144، مصدر سابق ذكره
(42) القرآن الكريم ، سورة القيامة ، الآيتان ، 28 – 29
(43) الذخيرة ق2م1، ص144 ، مصدر سابق ذكره
(44) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية، 186
(45) الذخيرة ق2م1، ص502 ، مصدرسابق ذكره
(46) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتعليق حنا نصر الحني، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 1991م، ص 47.
(47) الذخيرة ق2م1،ص 504 ، مصدر سابق ذكره
(48) ديوان امرئ القيس، دار صادر بيروت ، بلا ط , 2003ف ، ص 54
(49) الذخيرة ق2م1، 503 ، مصدر سابق ذكره
(50) ديوان المتنبي ، ص208 ، مصدر سابق ذكره
(51) الذخيرة ق2م1، 503 ، مصدر سابق ذكره
(52) ديوان المتنبي ،ص 212 ، مصدر سابق ذكره
(53) المعجب ، ص 150 –151،مصدر سابق ذكره
(54) ديوان المتنبي، ص 212، مصدر سابق ذكره
(55) الذخيرة ق2م1، 498 ، مصدر سابق ذكره
(56) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، ج3، المعري، معجز أحمد تح: عبد المجيد ذياب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2، 1992ف، ص256
(57) الذخيرة ق2م1،ص 497 ،مصدر سابق ذكره
(58) ديوان المتنبي ،ص117 ، مصدر سابق ذكره
(59) الذخيرة ق2م1،ص 247 ،مصدر سابق ذكره

(60) ديوان المتنبي ، ص 301 ،مصدر سابق ذكره
(61) الذخيرة ق2م1،ص 484 ،مصدر سابق ذكره
(62) الذخيرة ق2م1،ص 484 ،مصدر سابق ذكره
(63) ديوان المتنبي، ص278 ، مصدر سابق ذكره
(64) الذخيرة ق2م1،ص 485 ،مصدر سابق ذكره
(65) البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف،ص376 ،مرجع سابق ذكره
(66) لزوم ما لا يلزم ج1،أبوالعلاء المعري ،دار صادر،بيروت، بلا ط، بلا سنة نشر، ص 78
(67) ديوان المتنبي ، ص 436 ، مصدر سابق ذكره
(68) الذخيرة ق2م1،ص 484،مصدر سابق ذكره
(69) الذخيرة ق2م1،ص 246،مصدر سابق ذكره
(70) ديوان أبي فراس رواية عبدالله الحسين بن خالويه، دار صادر، بيروت، ط3، 2003م، ص228.
(71) الذخيرة ق2م1، (484)، مصدر سابق ذكره
(72) سقط الزند، أبو العلاء المعري ، دار صادر ،بيروت، بلاط، ، بلا سنة نشر، ص17
(73) الذخيرة ق2م1،ص 484،مصدر سابق ذكره
(74) ديوان ابن الرومي م2، تح: عبد الأمير علي مهنا، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1991م، ص 21
(75) الذخيرة ق2م489،1، مصدر سابق ذكره
(76) الذخيرة ق2م1، ص510 ،مصدر سابق ذكره
(77) الذخيرة ق2م1، ص510 ،مصدر سابق ذكره
(78) ديوان الخنساء، بلا تح، دار صادر، بيروت، ص76.
(79) الذخيرة ق2م1، (478)، مصدر سابق ذكره
(80) الذخيرة ق2م1، (485)، مصدر سابق ذكره
(81) خريدة القصروجريدة العصرق2، العماد الأصفهاني ،تح: آذرتانوش ، نقحه وزاد عليه محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، بلا ط ، 1975ف، ص99
(82) الذخيرة ق2م1، 255، مصدر سابق ذكره
(83) الذخيرة ق2م1، 504، مصدر سابق ذكره
(84) الذخيرة ق2م1، 575 ،مصدر سابق ذكره
(85) الذخيرة ق2م1، 497 ،مصدر سابق ذكره
(86) وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان م1، ابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص78
(87) شرح مقامات الحريزي البصري م1، ابن العباس ، أحمد بن المؤمن، القيسي، الشريشي، أشرف على تصحيحه صدقي محمد جميل، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، بلاط ، ص 360.
(88) الذخيرة ق2م1، 144 ،مصدر سابق ذكره
(89) الذخيرة ق2م1، 342 ،مصدر سابق ذكره
(90)الأدب الأندلسي التطور والتجديد، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط 2، 1976م، ص336.